

## الطب الحياتي Biomedicine

يعد الطب الحياتي فرع من فروع الطب الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة والمختبر بدلاً من خبرة الأطباء والعيادة. وان موضوعه الأساس هو جسم الإنسان. اذ يفسر الجسم على أنه كائن طبيعي وأمراضه على أنها عمليات طبيعية. على هذا النحو، يفترض الطب الحياتي أن وجهة نظره عن الجسم وعملياته وأمراضه هي العالمية. وقد عرفه القاموس الطبي الأمريكي بأنه "طب سريري قائم على مبادئ علم وظائف الأعضاء والكيمياء الحياتية" بدلاً من الخبرة التي اكتسبها الأطباء من خلال الملاحظة السريرية، ويركز مجال الدراسة على مجالات البيولوجيا والكيمياء ذات الصلة بالرعاية الصحية<sup>1</sup>. كما انه يعد فرعاً معرفياً واسع النطاق للغاية، وهناك ثلاثة مجالات عامة للتخصص - علوم الحياة والعلوم الفسيولوجية والهندسة الحياتية.

تعتمد معظم الوظائف في العلوم الطبية الحياتية على الأبحاث والمختبرات، بهدف تحسين المعرفة الطبية وتعزيزها، وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الطب الحياتي يشير بشكل متزايد إلى "الطب الحديث" استناداً إلى خبرة المختبر بدلاً من "الطب التقليدي" المرتبط بالتجربة السريرية وفطنة الأطباء الفرديين. وعلى الرغم من أن المختبر كان بمثابة معيار حشد للمصلحين الطبيين منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنه بعد عام ١٩٤٥ فقط بدأ الطب المخبري، المحدد بالطب الحياتي، في التأثير بقوة على الممارسة السريرية، وأصبح معظم علماء الأنثروبولوجيا الطبية يشيرون إلى هذا النوع من الطب باسم "الطب الحياتي".

ناقش استاذ الأنثروبولوجيا روبرت هان (R. Hahn) أنه في تشخيص المرض وعلاجه، يركز الطب الحياتي بشكل أساس على فسيولوجيا الإنسان (علم وظائف الأعضاء البشرية)، وبشكل

---

<sup>1</sup> A. Cambrosio, P. Keating, in International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, 2001

أكثر تحديدًا على الفسيولوجيا المرضية للإنسان. وربما يكون المثال الأكثر وضوحًا على هذا الميل لتقليل أو الحد من المرض إلى البيولوجيا هي تلك الممارسة الشائعة بين أطباء المستشفى للإشارة إلى المرضى باسم العضو المعطل (كأن يكون القلب أو الكبد أو الكلية...) وإن الشغل الشاغل للطب الحياتي ليس الرفاه العام ولا الأفراد في حد ذاته، إنما بالأحرى مجرد الأجسام المريضة، وفي جوهره أو مضمونه، يشترك الطب الحياتي في نوع من الاختزال الجسدي الذي يفصل جذريًا بين الجسم المريض وغير المريض أو السليم. ولاحظ (هان) أن الطب الحياتي يركز على العلاج أكثر من الوقاية وينفق أموالًا أكثر بكثير على المستشفيات والعيادات وخدمات الإسعاف والأدوية أكثر مما يفعل في مرافق الصحة العامة والتعليم الوقائي وتنظيف البيئة والقضاء على التوتر المرتبط بالتحديث، وتطور الحياة.

يشكل الطب الحياتي النظام الطبي العرقي السائد في مجتمعات أوروبا وأمريكا الشمالية وقد أصبح منتشرًا على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم. إذ في سياق الولايات المتحدة، يشتمل الطب الحياتي على بعض القيم الأساسية والاستعارات والمعتقدات والمواقف التي ينقلها إلى المرضى، مثل الاعتماد على الذات، والفردية القوية، والاستقلال، والبراغماتية، والتجريبية، والنزعة العسكرية (العسكرة)، وجني الأرباح، والبساطة العاطفية، ومفهوم ميكانيكا الجسم وإصلاحه، على سبيل المثال، غالبًا ما يتحدث الطب الحياتي الأمريكي عن الحرب على السرطان. ويتم تصوير هذه الحرب على أنها هجوم مطول ضد نمو داخلي قاتل وشرير، بقيادة جنرال عالي الكفاءة (طبيب الأورام oncologist) يعطي الأوامر لجندي شجاع، ومتأنق، ومطيع (المريض patient) في معركة يجب خوضها بشجاعة رغم الصعاب، وإذا لزم الأمر، حتى الرmq الأخير. وهذا يعني منهج "العسكرة الطبية medical militarization" لعلاج السرطان، كما يُظهر الطب الحياتي الأمريكي نمطًا من العدوان الذي يبدو أنه يتماشى مع التركيز القوي في المجتمع الأمريكي على العنف كوسيلة لحل المشكلات - وهو نمط متجذر بلا شك في عقلية التخوم (الحدود) التي لا تزال تعيش في ما أصبح في الغالب مجتمعًا ما بعد صناعي متحضر للغاية. وبهذا المعنى، فإن

الحرب على السرطان والحرب على المخدرات هي استمرار ثقافي رمزي للحرب ضد سكان أمريكا الأصليين التي ظهرت الحدود لاستيطان البيض<sup>١</sup>. ومن المثير للاهتمام أو المسألة التي لفتت الانتباه بالنسبة إلى ملاحظة إميلي مارتن (Emily Martin) بأن الصور الرئيسة المستخدمة في الأوصاف الشعبية والعلمية لهذا النظام (العسكرة الطبية) هي التي تصور "الجسم كدولة قومية في حالة حرب بسبب هذا المرض، وتحتوي الحدود الخارجية على أنظمة السيطرة الداخلية لمراقبة الغزاة الدخلاء، كما تلاحظ مارتن انه حتى في حالة الإنجاب، "يُنظر إلى الولادة على أنها سيطرة على العمال (النساء) وآلاتهم (أرحامهن) من المديرين (الأطباء) ، وغالبًا ما يستخدمون آلات أخرى للمساعدة في اتمام عملية الانجاب والولادة"<sup>٢</sup>.

---

<sup>1</sup> Stein, Howard. 1990. *American Medicine as Culture*. Boulder, CO: Westview Press.

<sup>2</sup> Martin, Emily. 1987. *The Woman in the Body: A Cultural Analysis of Reproduction*. Boston: Beacon Press. P146.